Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلك أهم الأسباب التى تخفى بها المعانى وتؤدى إلى التعقيد ، وتلافى هذه الأسباب يؤدى إلى الوضوح الذى ينشده المتلقون ، ويتطلبه كثيز من النقاد .

ولكن هذا الوضوح إنما يتحقق بتمامه عندما تتوافر الألفة ، وتزول أسباب الغرابة . وفى رأينا أن زوال الإحساس بالغرابة يفقد الفن الأدبى قيمته ، ويجعل مستقبله أمام أسلوب أشبه بما يجده فى لغة التخاطب ، التى تجرى فى محاورات الناس ، وقد لايجد فيه سوى مظاهر الصحة اللغوية ، وهى مطلوبة فى كل تعبير . ونحن كما يرى « سانتيانا » ندرب أنفسنا على إدراك ما فى الاشياء من جمال بالقوة . و« الألفة » من طبيعتها أن تولد الاحتقار ، كما يقول المثل السائر ، وهى لاتولد الاحتقار إلا عندما ينشأ عنها عدم الاهتمام . وحينما ينشغل العقل بمدركاته بحيث تستوعب كل اهتمامه . فإنه يضمن هذه الإدراكات قيمتها الذاتية شيئاً فشيئاً ، ويكسبها فى نهاية الأمر جمالا وقدرة على التعبير ! .

ومن الواضح أن ذلك الاهتمام المنشود لايثيره إلا الشيء الغريب الذى لاعهد به للحواس ، ولا لغيرها من وسائل الإدراك ، وهو اهتمام يولد المتعة فى نفس المشاهد أو المتأمل ، أما إذا فقد الاستمتاع بأن يكون هذا المدرك معقداً أشد التعقيد فإن الناظر فيه يكد ذهنه ، ويبذل طاقة فوق طاقته ، فيحس بثقل وطأته ، ويضطر إلى الانصراف عنه بعد إقباله عليه .

والعلة فى ذلك أن المتلقى حريص دائما على متابعة اللذة الفنية واتصالها ، فإذا كان فى بعض الأجزاء ذلك الخفاء الشديد انقطع تيار المتعة بالعمل الفنى ، حتى يتبدد الظلام ، ويبرح الخفاء بوسيلة أو بأخرى ، فيضطر إلى استرجاع المتعة أو ماسلف منها ، ليصلها بما يليها من أجزاء التجربة التى عبر عنها العمل الأدبى .

ولذلك قلنا إن رأينا هو التوسط الذى يرتفع به الكلام ، عن مرتبة الإسفاف والابتذال ، ويهبط عن المرتبة التى يتعقد بها الكلام ، ويتعذر إدراكه إلا بعد جهد وإعنات .

وكذلك رأى أرسطو فى لغة الشعر ، فهو يوجب أن تكون مزيجاً من الألفاظ المألوفة والألفاظ غير المألوفة . وإذا كانت الصفة الجوهرية فى لغة الشعر أن تكون واضحة من غير أن تكون مبتذلة ، فإن أكثر العبارات وضوحاً هى العبارات المؤلفة من ألفاظ مألوفة . ولكنها فى الوقت نفسه تكون مبتذلة .